

الفصل الرابع الحساب

- أسس محاسبة العباد.
- وإذا الصحف نشرت.
- المحكمة الإلهية.
- محاسبة العباد.
- شهادة الأعضاء.
- بعض من محاكمات يوم الفصل.

الحساب

أسس محاسبة العباد:

ميزان الثواب والعقاب ليس موكلاً إلى الأمانى وإنما يرجع إلى قاتون لا يحابى أحدا قاتون تستوى جميع الأمم أمامه ينص على أن صاحب السوء مجزى بالسوء وصاحب الحسنة مجزى بالحسنة قال تعالى ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ النساء: ١٢٣ وقد وضع الله سبحانه وتعالى أسسا ومبادئ عامة يقوم عليها الحساب، وتقدير الثواب والعقاب يوم القيامة نستعرض بعضاً منها كما وردت في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة:

المبدأ الأول: لا ظلم اليوم

العدل المطلق هو أساس محاسبة العباد يوم القيامة، فسيحاسب الله سبحانه جميع المخلوقات بالعدل سواء أكانت مؤمنة أو كافرة، ولن يظلم فى ذلك اليوم أحد لا ينقص ثواب ولا بزيادة عقاب قال تعالى ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ غافر: ١٧.

المبدأ الثانى: المحاسبة على كل الأعمال

ستتم محاسبة العباد على كل ما عملوه فى الدنيا، سواء كان العمل صغير أو كبير، أن كان خيراً فخير وأن كان شراً فشر قال تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ الزلزلة: ٧-٨ وقال تعالى ﴿وَنَضْعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تَظْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ الأنبياء: ٤٧. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالاً يرفعه الله بها درجات، إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً يهوى بها فى جهنم) (١).

المبدأ الثالث: المساواة بين الرجال والنساء .

الأعمال هي الأساس في تقدير الثواب والعقاب سواء صدرت من ذكر أو أنثى فلا فرق بينهم فكل منهم سينال جزاء ما عمل بنفس القدر **قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾** النساء: ١٢٤ **وقال تعالى ﴿ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾** آل عمران: ١٩٥ **وقال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْخَافِضِينَ وَالْخَافِضَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾** الأحزاب: ٣٥.

المبدأ الرابع: العفو عن حديث النفس والخواطر .

العقاب يكون على ما يقوله العبد أو يفعله فقط، ولا عقاب على حديث النفس أو الخواطر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست - أو حدثت - به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم) ^(١).

المبدأ الخامس : الأعمال بالنيات .

قبول العمل يتوقف على الإخلاص والنية الكامنة وراء العمل، واليعد عن الرياء والسعنة **قال تعالى ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ تَخَرَّجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْوُتُّ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾** النساء: ١٠٠، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الأعمال بالنية، ولكل امرئ ما نوى. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) ^(٢).

وعن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: (إن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله تعالى له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة) ^(٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت لأن يقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار)^(١).

المبدأ السادس : الإيمان شرط قبول العمل.

الإيمان بالله شرط أساسى لقبول العمل الصالح، وأنه لا قيمة لعمل صالح عند الله لا يصدر عن إيمان، وقد حدد العلماء شروط العمل الصالح وهى (الأول موافقته لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، الثانى أن يكون خالصاً لله تعالى، الثالث أن يكون مبنياً على أساس العقيدة الصحيحة)^(٢).

قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ النساء: ١٢٤، وقال تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ النحل: ٩٧، وقال تعالى ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴾ الإسراء: ١٩، وقال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوا كَسَرَابٍ بِقِيَعٍ يُحْسِبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْنَاهُ حِسَابَهُ ۖ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ النور: ٣٩.

المبدأ السابع : الحسنات يذهبن السيئات.

الحسنات التى يكتسبها العبد من عباداته ومعاملاته تكفر الذنوب التى يرتكبها شرط أن يتجنب عمل الكبار، قال تعالى ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ النساء: ٣١، جاء فى فتح البارى (إن اجتنبت

الكبائر كانت الحسنات كفارة لما عدا الكبائر من الذنوب، وإن لم تجتنب الكبائر لم تحط الحسنات شيئا وهناك قول آخر: إن لم تجتنب الكبائر لم تحط الحسنات شيئا منها وتحط الصغائر) (٩٧).

وعن ابن مسعود رضى الله عنه (إن رجلا أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فأنزل الله ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ هود: ١١٤، فقال الرجل: يا رسول الله ألى هذا؟ قال: لجميع أمتي كلهم) (٩٨).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقى من درنه؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيئا. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا) (٩٩).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجارده تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي) (١٠٠).

المبدأ الثامن : الحدود كفارات للذنوب

من أصاب ذنبا فعوقب به في الدنيا بإقامة الحد عليه مثل القطع في السرقة، والجلد أو الرجم في الزنا وهكذا، إلا جعله الله سبحانه كفارة لما أصاب من ذلك الذنب، فإله أكرم من أن يثني العقوبة على عبده في الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا بيهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا فى معروف. فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله: إن شاء عفا عنه، وأن شاء عاقبه) (١٠١).

المبدأ التاسع: المصائب والآلام كفارات للذنوب

المصائب الدنيوية من الآلام والأسقام وغيرها من الهموم والأحزان تكفر الذنوب قال تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيهُهُمْ ظَمًا وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ النبوة: ١٢٠، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها) (١٠٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم - حتى الشوكة يشاكها - إلا كفر الله بها من خطاياها) ^(١٣)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها، والشوكة يشاكها) ^(١٤). وقال النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة) ^(١٥) يريد عينيه.

المبدأ العاشر: لا عفو عن المجاهرين بالمعاصي.

من مات ولم يتب عن المجاهرة بالمعصية لن يعفو الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل أمتي معافى إلا المجاهرين. وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه) ^(١٦).

المبدأ الحادى عشر: ولا تزر وازرة وزر أخرى.

الأعمال مسئولية شخصية بمعنى أن كل فرد يتحمل تبعات أعماله، فلن يعاقب أحد بذنب غيره، ولن يساعد أحد أحداً، ولو دعت أى نفس محملة بالذنوب والأوزار أحداً ليحمل عنها ذنوبها لا يتحمل عنها، حتى ولو كان المدعو قريباً لها كالأب والابن، **قال تعالى** ﴿وَلَا تَزِرْ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا لَا تُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ فاطر: ١٨.

المبدأ الثانى عشر: لن تنفع الأرحام ولا القرابة.

ليس للقرابة أى وزن أو قيمة أثناء المحاسبة **قال تعالى** ﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الممتحنة: ٣، فلا ينفع والد ولده، وكذلك لا يغنى ولد أو يدفع عن والده شيئا من ذنوبه، **قال تعالى** ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ رَبَّهُمْ وَأَحْشَوْا يَوْمًا لَا تَجْزَىٰ وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ لقمان: ٣٣ وعن حذيفة قال: جئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم والعباس جالس عن يمينه وفاطمة رضى الله عنها عن يساره فقال (يا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملى لله خيراً فأتى لا أغنى عنك من الله شيئا يوم القيامة) ^(١٧) وكذلك بالرغم من كون امرأة نوح وامرأة لوط كانتا

فى عصمة نبيين عظيمين، إلا إنهم كفروا ولم يؤمنوا بالله فلم تنفعهم قرابتهم من هؤلاء الأنبياء يوم الحساب **قال تعالى** ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتُ نُوحٍ وَامْرَأَتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴾ التحريم: ١٠.

المبدأ الثالث عشر: الأثر الممتد للأعمال.

هناك أعمال يستمر أثرها حتى يوم القيامة بالرغم من وفاة صاحبها فمثلا من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، و من دعا إلى ضلالة أو كان سببا فيها، كان عليه إثمها بالإضافة إلى إثم كل من اتبعه حتى بعد وفاته، **قال تعالى** ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلِيَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿ العنكبوت: ١٢-١٣، وقال صلى الله عليه وسلم (لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل) (١٨).

وقال صلى الله عليه وسلم (من سن فى الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شئ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شئ) (١٩)، وقال صلى الله عليه وسلم (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه من غير أن ينقص من آثامهم شيئا) (٢٠). وقال صلى الله عليه وسلم (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) (٢١).

المبدأ الرابع عشر: لا عذر ولا اعتذار.

لن يجدى عند الحساب تقديم الحجج والأعذار لتبرير الذنوب **قال تعالى** ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۚ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾ ﴿ القيامة: ١٤-١٥، وكذلك لن يقبل اعتذار ولا تنفع التوبة عند الحساب **قال تعالى** ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ الروم: ٥٧.

المبدأ الخامس عشر: لا فداء عن الذنوب.

لا يقبل فداء أو عوض عن الذنوب، قال تعالى ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ البقرة: ١٢٣.

المبدأ السادس عشر: لا شفاعة للكافرين.

هناك من لا تنفعهم شفاعة مثل المجرمين الكافرين المكذبين بيوم القيامة قال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۖ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۖ﴾ في جَنَّتِ يَتَسَاءَلُونَ ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۖ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۖ﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ۖ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۖ﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بَيِّمَاتِ الَّذِينَ حَتَّىٰ أَتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفِيعَةُ الشَّفِيعِينَ ۖ﴾ المدثر: ٣٨-٤٨ وقال تعالى ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَىٰ الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ غافر: ١٨.

المبدأ السابع عشر: من نوقش الحساب عذب.

الحساب نوعان، نوع يكون الغرض منه العرض، حيث تعرض أعمال العبد المؤمن عليه حتى يعرف كرم الله عليه في سترها عليه في الدنيا وفي عفوه عنها في الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته. وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) ^(١١) قوله "فيضع عليه كنفه" بفتح الكاف والنون المراد بالكنف الستر.

النوع الثاني الاستقصاء في المحاسبة والمطالبة بالجميل والحقير والكبير والصغير فعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك. فقالت: يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ﴾ فَسَوْفَ تُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۖ﴾ الإيشقاق: ٧-٨ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إتما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب) ^(١٢)، قال القرطبي: في معنى قوله

(إنما ذلك العرض أن الحساب المذكور في الآية إنما هو أن تعرض أعمال المؤمنين عليه حتى يعرف منة الله عليه في سترها عليه في الدنيا وفي عفوه عنها في الآخرة) (٢٤).

المبدأ الثامن عشر: أسئلة لا بد من الإجابة عليها

إذا كان العبد سوف يسأل عن كل شئ عمله في حياته إلا أنه قد ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة أمثلة للأسئلة التي سوف يطالب كل منا بالإجابة عليها حتى لا نفاجأ بها ونجهز الإجابة عليها من الآن، وإذا أمعنا الفكر في تلك الأمثلة من الأسئلة لوجدناها تستوعب كل نشاط الحياة فهي تشمل العهود والحواس وخاصة السمع والبصر والفؤاد والعمر أو الوقت والعلم والمال والصحة. فكل إنسان سوف يسأل عن عهده سواء مع الله سبحانه وهو العهد الإيماني أو مع خلقه، أوفى به أم أخلفه **قال تعالى ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾** الإسراء: ٣٤. وكل منا سيسأل عن حواسه فيما استعملها هل استعملها في معصية الله أم في طاعة الله، فالإنسان مسئول عن سمعه وبصره وفؤاده **قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عِنْدَ مَسْئُولًا ﴾** الإسراء: ٣٦، وكذلك كل واحد سيسأل عن عمره أى كيف استغل الوقت الذى عاشه في الدنيا هل في طاعة أم في معصية الله؟ وعن علمه هل استخدمه في الخير أم في الشر؟ وعن ماله هل اكتسبه عن طريق حلال أم حرام؟ وفيما أنفقه؟ وعن جسمه أو صحته هل استخدمت هذه النعمة الكبرى في أبواب طاعة أم معصية؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل: عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه) (٢٥).

المبدأ التاسع عشر: التطوع يكمل ما أنتقص من الفريضة

إن قصر العبد فيما أفترض عليه من صلاة وزكاة وصيام وغيرها من الواجبات، فعند الحساب يستكمل هذا النقص مما قدمه العبد من تطوع من نفس جنس العمل فالصلاة المفروضة تعوضها الصلاة النافلة وهكذا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله: صلاته، فإن صلحت، فقد أفلح وأنجح وإن فسدت، فقد خاب وخسر، فإن أنتقص من فريضته شيئاً، قال الرب تبارك وتعالى: انظروا، هل لعبدى من تطوع؟ فيكمل بها ما أنتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك) (٢٦).

المبدأ العشرون : حسنات الظالم لتعويض المظلوم.

من ظلم أحدا في الدنيا، فإن المظلوم سوف يأخذ من حسنات الظالم بقدر مظلمته، وإذا انتهت حسنات الظالم أخذ من سيئات المظلوم وأضيفت إلى سيئات الظالم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من كانت له مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه) (٢٧).

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحته عليه ثم طرح في النار) (٢٨).

وقال صلى الله عليه وسلم (حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم وما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة فيأخذ من عمله ما شاء فما ظنكم) (٢٩).

المبدأ الحادي والعشرين : الجزاء من جنس العمل.

من تجاوز عن الناس في الدنيا، وسامحهم وعفا عنهم، تجاوز الله سبحانه عنه يوم القيامة قال تعالى ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ النور: ٢٢ وقال تعالى ﴿ وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ التغابن: ١٤، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسرا قال لفتيانہ: تجاوزوا عنه لعل الله يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه) (٣٠).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة، في شجرة قطعها من طريق المسلمين، كانت تؤذى الناس) (٣١) ومن فضح الناس في الحياة الدنيا وأظهر عيوبهم التي كانوا يستروها، يكشف الله سبحانه عيوبه إلى الناس في الدنيا والآخرة ومن أدخل على الناس المشقة وصعب عليهم الأمور يشق الله سبحانه عليه يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سمع سمع الله به يوم القيامة، ومن شاق شاق الله عليه يوم القيامة... الحديث) (٣٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يرحم الله من لا يرحم الناس) (٣٣).

المبدأ الثاني والعشرين: السيئة بمثلها والحسنة بعشرة.

الأعمال نوعان حسنات و سيئات، فعند المحاسبة على السيئات من يعمل سيئة فلا يجزى إلا بمثلها دون زيادة أو نقصان، ولكن عند المحاسبة على الحسنات الأمر يختلف فليس العدل وحده أساس تقدير الأعمال ولكن يضاف إليه الفضل والكرم من الله سبحانه ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا تُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ القصص: ٨٤، قال صلى الله عليه وسلم (لن يدخل أحدا عمله الجنة قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا، ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة فسددوا وقاربوا ولا يمتنين أحدكم الموت، إما محسنا فلعله أن يزداد خيرا، وإما مسينا فلعله أن يستعذب) (٣٤).

فمن جاء يوم القيامة بحسنة واحدة جوزى عنها بعشر حسنات أمثالها فضلا وكرامة منه سبحانه قال تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا تُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ الأنعام: ١٦٠، وهذا أقل المضاعفة للحسنات فقد تنتهي إلى سبعمئة ضعف أو يزيد، فالزيادة في الحسنات من باب الفضل والمعاملة بالمثل في السيئات من باب العدل قال تعالى ﴿مِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةٍ أَتَتْتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٦١.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يكفر الله عنه كل سيئة كان زلفها، وكان بعد ذلك القصاص: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف، والسيئة بمثلها، إلا أن يتجاوز الله عنها) (٣٥). وينطبق هذا على جميع الأعمال إلا في الصبر، وفي الصيام، فتواب الصبر بلا حدود قال تعالى ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الزمر: ١٠.

وثواب الصيام لا يعلم مقداره إلا العزيز الكريم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الله: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إلى أمرؤ صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه) (٣٦).

المبدأ الثالث والعشرين : محاسبة الذين آمنوا بالفضل والكرم.

محاسبة الذين آمنوا وعملوا الصالحات تختلف عن غيرهم ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا تَحْكُمُونَ ﴾ [الباقية: ٢١] ، إذا كان العدل المطلق هو أساس تقدير أعمال جميع المخلوقات لكن بالنسبة للذين آمنوا وعملوا الصالحات يضاف إلى العدل الفضل والكرم من الله سبحانه ومضاعفة الثواب والأجر بدون حساب **قال تعالى** ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النساء: ١٧٣] **وقال تعالى** ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللهَ قرضًا حسنًا فيضعفه له أَضعافًا كثيرة ﴾ [البقرة: ٢٤٥] **وقال تعالى** ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ أَلْفُ عِشْرِينَ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبا: ٣٧].

المبدأ الرابع والعشرين : تقدير الجزاء على أساس أحسن الأعمال.

إذا كان العدل أن تحسب الحسنات وتحسب السيئات ثم يكون الجزاء فإن الفضل الذي يتجلى به الله على عباده المتقين أن يكفر عنهم أسوأ أعمالهم فلا يبقى لها حساب ثم يجزيهم أجرهم بحساب أحسن الأعمال وبالتالي تزيد حسناتهم ﴿ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٥] **وقال تعالى** ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [٥٦] **من عمل صالحًا من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلننجيناهُ حَيوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿ [النحل: ٩٦-٩٧]. نلاحظ هنا قوله تعالى ﴿ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ تكرر مرتين في آيتين متتاليتين تأكيداً لهذا المبدأ.

المبدأ الخامس والعشرين: تبديل السيئات إلى حسنات.

من تاب في الدنيا توبة نصوحا وأحسن عمله، يكرمه الله في الآخرة فيجعل مكان السيئات حسنات ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠].

المبدأ السادس والعشرين: مضاعفة الأجر.

هناك من سيأخذ أجره كاملاً مرتين، حيث أنه سوف يحاسب بالكرم والفضل ويأخذ أجره كاملاً وبعد ذلك يضاعف له هذا الأجر، قال تعالى في حق أهل الكتاب الذين آمنوا بنبيهم ثم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ لقصص: ٥٤، ويقول عز وجل في حق نساء النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ الأحزاب: ٣١، ويقول صلى الله عليه وسلم (ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعفها فترجوها فله أجران) (٣٧).

المبدأ السابع والعشرين: مضاعفة العقاب.

مضاعفة الجزاء والعقاب يرتبط بالفضل والمرتبة والقوة، قال سبحانه وتعالى في حق نساء النبي صلى الله عليه وسلم باعتبارهم قدوة لغيرهن من النساء، ولفضلهن ولمكانتهن الرفيعة ﴿يَنْبَسَاءُ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٠ وكذلك يضاعف العقاب للمشركين والكفار مرة بسبب كفرهم، والأخرى بسبب المعاصي والآثام التي اقترفوها قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ الفرقان: ٦٨ - ٦٩ وأيضاً يضاعف العقاب للذين كفروا وأنكروا الآخرة وافتروا على الله الكذب بنسبة الشريك والولد إليه سبحانه بالإضافة إلى أنهم صدوا عن سبيل الله ومنعوا الناس من اتباع الحق، وسلوك سبيل الهدى الموصل إلى الله ويريدون أن يكون دين الله معوجاً على حسب أهوائهم ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ هود: ٢٠٠.

المبدأ الثامن والعشرين : حبط الأعمال .

سبق الإشارة في مبدأ الأعمال بالنيات أن قبول العمل يتوقف على نية صاحب العمل، فإذا كانت النية فاسدة فمن يتقبل هذا العمل فقط، ومن الممكن قبول أعماله الأخرى إذا صلحت نيته ولكن هناك حالات تبطل فيها كل الأعمال الصالحة والمفيدة، ولن نتقبل من صاحبها، ولا يبقى لها جزاء في الآخرة، فالكفار والمشركون والمنافقون ليس لهم حسنات يوم القيامة مهما عملوا من أعمال تفيد الناس قال تعالى ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاثِرِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَآخَذُوا ءَايَتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ الكهف: ١٠٣-١٠٦.

كذلك عدم توقير الرسول وإجلاله واحترامه - حيا أو ميتا - يبطل الأعمال الصالحة قال تعالى ﴿ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ الحجرات: ٢.

كذلك من مات وهو مرتد عن الإسلام فقد بطل عمله الصالح كله الذي عمله وهو مسلم من صلاة وزكاة وغيرها قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ البقرة: ٢١٧.

كذلك نجد قتل كل من الأنبياء والدعاة إلى الله والإسلام من الأسباب التي تبطل الأعمال مهما قدم صاحبها من خدمات للإنسانية، قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِعَاثِرِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ﴿١٠٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١٠٧﴾ آل عمران: ٢١-٢٢ ومن الأسباب التي تبطل الأعمال أيضا الشرك بالله سبحانه، والتكذيب بالقرآن، وإنكار البعث والحساب قال تعالى ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الأنعام: ٨٨ وقال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَاثِرِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ هَلْ يُحْزَرُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الأعراف: ١٤٧.

المبدأ التاسع والعشرين: محاسبة الكفار لتحديد درجات العذاب.

محاسبة الكفار يوم القيامة لتحديد شدة ومراتب العذاب في جهنم، فهم وإن دخلوا النار جميعاً إلا أنهم يتفاوتون في شدة ونوع العذاب فهناك من عذابه أشد من الآخر طبقاً لأعماله. وقد سأل شيخ الإسلام ابن تيمية هل يحاسب الكفار يوم القيامة أم لا؟ فأجاب: (اختلف في هذه المسألة ولكن فصل الخطاب: أن الحساب يراد به عرض أعمالهم عليهم وتوبيخهم عليها ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات. فإذا أريد بالحساب المعنى الأول فلا ريب أنهم محاسبون بهذا الاعتبار وإن أريد المعنى الثاني، فإذا قصد بذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة فهذا خطأ ظاهر، وأن أريد أنهم يتفاوتون في العقاب، فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلت سيئاته، ومن كان له حسنات خفف عنه العذاب كما أن أبا طالب أخف عذاباً من أبي جهل قال تعالى ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ التوبة: ٣٧، والنار دركات. فإذا كان بعض الكفار عذابه أشد عذاباً من بعض لكثرة سيئاته وقلة حسناته. كان الحساب لبيان مراتب العذاب لا لأجل دخولهم الجنة) (٣٨).

وأما عن محاسبة الذين ماتوا وهم أطفال سواء أولاد المسلمين أو غيرهم، فإله أعلم بهم وبما كانوا عاملين عندما يكبرون، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مصير أولاد المشركين (فقال: الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين) (٣٩).

المبدأ الثلاثون: الحساب على الصلاة أولاً.

الصلاة أول الأعمال التي يحاسب عليها العبد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله: صلاته، فإن صلحت، فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر... الحديث) (٤٠).

المبدأ الحادى والثلاثين: أول القضايا القصاص.

أول القضايا التي يفصل فيها الله سبحانه وتعالى بين الناس يوم القيامة هي قضايا القتل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أول ما يقضى بين الناس في الدماء) (٤١).

المبدأ الثانى والثلاثين: أعظم الذنوب.

الشرك بالله، وقتل الولد خشية الفقر، والزنا بزوجة الجار أعظم الذنوب عند الله، عن عبد الله رضى الله عنه قال (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذنوب عند الله أكبر؟ قال: إن

تجعل لله ندا وهو خلقك. قلت: ثم أى؟ قال: ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك. قلت: ثم أى؟ قال: أن تزنى بحليلة جارك. قال ونزلت هذه الآية تصديقاً لقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ الفرقان: ٦٨ (١١٦).

المبدأ الثالث والثلاثين : إمكانية غفران جميع الذنوب ماعدا الكفر والشرك .

بالرغم من أن الله سبحانه وتعالى غفور رحيم يغفر الذنوب جميع لمن يشاء إلا أن هناك ذنوبا لا يغفرها سبحانه مثل الكفر ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ النساء: ١٦٨ وأيضا مثل الشرك بالله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ النساء: ٤٨ سبحانه يتقبل استغفار المذنبين وتوبة التائبين ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ النساء: ١١٠، والفرق بين عمل السوء وظلم النفس هو أن عمل السوء يضر به آخرين وظلم نفسه عمل يضر به نفسه وقال تعالى ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ النساء: ١٧ فعل السوء بجهالة أي عدم استحضار العقوبة المناسبة للذنب فلو استحضر الإنسان العقوبة لما فعل المعصية بل هو يتجاهل العقوبة لذلك قال صلى الله عليه وسلم (لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) (١١٧)، يقول الإمام النووي في شرح الحديث (هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان) (١١٨) وحدد لنا الرسول صلى الله عليه وسلم معنى- قريب- قال (إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغفر) (١١٩) وقال تعالى ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ اللَّهَ﴾ النساء: ١٨.

محاسبة أنفسنا

تلك كانت بعض أسس المحاسبة يوم القيامة، فهلا حاسبنا أنفسنا قبل أن نحاسب، لقد أمر الحق سبحانه الذين آمنوا أن يحاسبوا أنفسهم، وأن تنظر كل نفس وتتفكر إلى ما قدمت من أعمال ليوم الحساب **قال تعالى ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ الحشر: ١٨**، وهل يصلح ما قدمه المرء من عمل أن يلقي الله به أو لا يصلح؟ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر). وقد ذم الحق سبحانه الذى وعظ بآيات الله البينة فتعامى عنها وتناساها، ولم يلق لها بالا، ولم يحاسب نفسه ونسى ما عمله من الجرائم الشنيعة والأفعال القبيحة، ولم يتفكر فى عاقبتها **قال تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ الكهف: ٥٧**.

كيفية محاسبة النفس:

يقول الإمام ابن القيم محاسبة النفس للتمييز بين ما لها وما عليها، ولكن قبل أن تحاسب نفسك، وتوازن بين حسناتك وسيئاتك لابد لك أن توازن بين نعم الله سبحانه عليك التى لا تحصى بداية من نعمة التوفيق إلى الإيمان ونعمة الصحة والأمن، ونعمة البصر والسمع وغيرها، وبين ما ترتكبه من ذنوب وسيئات لتعلم من البداية مدى الفرق الشاسع بينهم وتذكر أنه ليس إلا عفوه ورحمته، أو الهلاك والعذاب، وإن كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل.

ولكى تحاسب نفسك بطريقة جيدة لابد أن يتوافر فيك عدة شروط هى:

- القدرة على التمييز بين الحق والباطل والهدى والضلال والضرر والنافع والكامل والناقص والخير والشر، فتعلم بهذه المقايسة أيهما أكثر.
- معرفة مراتب الأعمال وأيها أفضل من غيرها فمثلا أداء الفرائض يأتى فى المقدمة قبل النوافل، وبر الوالدين يأتى قبل الجهاد وهكذا.

- سوء الظن بالنفس لأن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفطيش، فترى المساوي محاسن والعيوب كمالات، ولا يسيئ الظن بنفسه إلا من عرفها، ومن أحسن ظنه بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه.

- التمييز بين النعمة والفتنة ومعرفة الفرق بين النعمة التي يراد بها الإحسان واللفظ، والتي يعان بها على تحصيل السعادة الأبدية، وبين النعمة التي يراد بها الاستدراج، فكم من مستدرج بالنعم وهو لا يشعر، مفتون بثناء الجهال عليه، مغرور بقضاء الله لحوائجه وستره عليه؛ ويدرك أن النعمة التي تقربه من الله هي النعمة الحقيقية، وأما التي تبعده عن الله فهي البلاء في صورة النعمة، والمحنة في صورة المنحة فليحذر إنما هو مستدرج.

- القدرة على التمييز بين المنة والحجة، فكم تلتبس عليه إحداهما بالأخرى. فان العبد بين منة من الله عليه وحجة منه عليه لا ينفك عنهما ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ آل عمران: ١٦٤ وقوله ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾ الأنعام: ١٤٩، وكل قوة ظاهرة وباطنة صاحبها تنفيذ لمرضاته وأوامره فهو منة. وإلا فهو حجة، وكل ما اقترن به إتفاق في سبيل الله وطاعته، لا لطلب الجزاء ولا الشكور، فهو منة من الله عليه، وإلا فهو حجة، وكل فراغ اقترن به اشتغال بما يريد الرب من عبده فهو منة عليه وإلا فهو حجة وهكذا. فليتأمل العبد هذا الموضع العظيم الخطر ويميز بين مواقع المنن والمحن. والحجج والنعم فما أكثر ما يلتبس ذلك على خواص الناس وأرباب السلوك.

- التمييز بين ما عليك الله من وجوب العبودية والتزام الطاعة، واجتناب المعصية، وبين ما لك. فالذي لك: هو المباح الشرعي، فعليك حق ولك حق، فأد ما عليك يؤتك ما لك. ولا بد من التمييز بين ما لك وما عليك وإعطاء كل ذي حق حقه. وكثير من الناس يجعل كثير مما عليه من الحق من قسم ما له، فيتخير بين فعله وتركه، وإن فعله رأى أنه فضل قام به لا حق عليه، وبإداء هؤلاء من يرى كثير مما له فعله وتركه من قسم ما عليه فعله أو تركه. فيتعبد بترك ما له فعله كترك كثير من المباحات ويظن ذلك حقا عليه، كمن يتعبد بترك المباح أو الطيبات من المطاعم والملابس ويرى - بجهله - أن ذلك مما عليه فيوجب على نفسه تركه أو يرى تركه من أفضل القرب وأجل الطاعات. وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم من زعم ذلك ففي الصحيح: (أن نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوه عن عبادته في السر؟ فكانهم يقولونها، فقال أحدهم: أما أنا فلا أكل اللحم وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء وقال الآخر: أما أنا فلا أنام على فراش. فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم مقلاتهم

وقال: ما بال أقوام يقول أحدهم أما أنا فلا أكل اللحم، ويقول الآخر أما أنا فلا أتزوج النساء ويقول الآخر أما أنا فلم أنام على فراش؟ لكنني أتزوج النساء وأكل اللحم وأنام وأقوم وأصوم وأفطر فمن رغب عن سنتي فليس مني) فتبرأ ممن رغب عن سنته، وتعبد لله بترك ما أباحه لعباده من الطيبات رغبة عنه واعتقاداً أن الرغبة عنه وهجرة عبادة فهذا لم يميز بين ما عليه وما له.

- لابد من معرفة أن رضا العبد بطاعته دليل على حسن ظنه بنفسه. وجهله بحقوق العبودية. وعدم عمله بما يستحقه الرب جل جلاله ويليق أن يعامل به وحاصل ذلك أن جهله بنفسه وصفاتها وآفاتا وعيوب عمله، وجهله بربه وحقوقه وما ينبغي أن يعامل به يتولد منهما رضا بطاعته، وإحسان ظنه بها. ويتولد من ذلك: العجب والكبر والآفات ما هو أكبر من الكبائر الظاهرة من الزنا، وشرب الخمر، والفرار من الزحف ونحوها. فالرضا بالطاعة من رعونات النفس وحمافتها، وأرباب العزائم والبصائر اشد ما يكونون استغفاراً عقيب الطاعات، لشهودهم تقصيرهم فيها، وترك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه. وأنه لو لا الأمر لما أقدم أحدهم على مثل هذه العبودية، ولا رضيها لسيده، وقد أمر الله تعالى وفده وحجاج بيته بأن يستغفروه عقيب إفاضتهم من عرفات وهو أجل المواقف وأفضلها **فَقَالَ تَعَالَى ﴿ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾** ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ البقرة: ١٩٨-١٩٩ وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا سلم من الصلاة استغفر ثلاث ثم قال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام.

وفي النهاية على المرء أن يبتعد بنفسه عن تعير المقصرين فلعل تعييره لأخيك بذنبه أعظم إثماً من ذنبه وأشد من معصيته لما فيه من صولة الطاعة وتركية النفس ولعل كسرتة بذنبه وما أحدث له من الذلة والخضوع ووقوفه بين يدي الله منخفض الرأس منكسر القلب أنفع له وخير. فما أقرب هذا العاصي من رحمة الله وما أقرب هذا المدل من مقت الله فذنب تذلل به لديه أحب إليه من طاعة تدل بها عليه وانك إن تبتيت نائماً وتصبح نادماً خير من أن تبتيت قائماً وتصبح معجباً فالمعجب لا يصعد له عمل. (فله في أهل طاعته ومعصيته أسرار لا يعلمها إلا هو ولا يطالعها إلا أهل البصائر)^(٤٦).

التمحيص والتنقية من الذنوب

ولأن الجنة طيبة فلا بد أن ينقى ويمحص كل من يدخلها من الذنوب والآثام يقول ابن القيم:

أولاً: التمهيد في دار الدنيا بأربع أشياء.

التوبة- والاستغفار- وعمل الحسنات الماحية- والمصائب المكفرة فان محصته هذه الأربعة وخلصته كان من الذين توفتهم الملائكة طيبين ويبشرونهم بالجنة.

وأن لن تفي هذه الأربعة بتمحيصه وتخليصه فلم تكن التوبة نصوحاً- وهي العامة الشاملة الصادقة- ولم يكن الاستغفار كاملاً تاماً- وهو المصاحب بمفارقة الذنب والندم عليه- وهذا هو الاستغفار النافع لا استغفار من بيده قدح السكر وهو يقول استغفر الله ثم يرفعه إلى فمه ولم تكن الحسنات بكميتها وكيفية وافية للتغفير ولا المصائب وهذا إما لعظم الجناية ولأما لضعف المحص وإما لهما محص في البرزخ.

ثانياً: التمهيد في البرزخ بثلاثة أشياء.

أحدهما: صلاة أهل الإيمان الجنائز عليه واستغفارهم له وشفاعتهم فيه.

الثاني: تمحيصه بفتنة القبر وعذابه .

الثالث: ما يهدي إخوانه المسلمين إليه من هدايا الأعمال من صدقة عنه وحج وصيام وقراءة القرآن عنه والصلاة وجعل ثواب ذلك له - فإن لم تف هذه بالتمحيص. محص بين يدي ربه.

ثالثاً: التمهيد في الآخرة في الموقف بأربعة أشياء .

أحوال القيامة - وشدة الموقف - وشفاعة الشفعاء - وعفو الله عز وجل.

فإن لم تف هذه الثلاثة بتمحيصه فلا بد له من دخول الكير، رحمة في حقه ليستخلص ويتمحص وينتطر في النار لتكون النار له طهره له وتمحيصاً لخبثه ويكون مكثه فيها على حسب كثرة الخبث وقلته وشدة وضعفه. (فإذا خرج خبثه وصفا ذهبه وصار خالصاً طيباً أخرج من النار وادخل الجنة) (١٧).

وإذا الصحف نشرت

تحقيقاً للعدالة المطلقة افتضت إرادة الحق سبحانه أن يحاسب كل إنسان بناء على كتاب أو صحيفة أعماله، التي تضم كل ما عمله في الحياة الدنيا من خير وشر وما سنه من حسن وسيئ فلا مجال عندئذ للإنكار **قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾** يس: ١٢. ولقد خصص لكتابة هذه الصحيفة ملكان لكل إنسان حاضرين معه أينما كان ومهينين دائماً للكتابة ملك عن يمينه يكتب الحسنات وملك عن شماله يكتب السيئات بحيث لا يتلفظ الإنسان من كلمة خيراً كانت أم شراً أو يعمل أى شئ إلا وعنده ملك يرقب قوله وعمله، **قال تعالى ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۚ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾** ق: ١٧ - ١٨ يقول الإمام محمد عبده (الكتابة هنا على النحو الذى يليق بتنزيه الله تعالى وهى أعلى من كتابتنا التى نعرفها وأشد منها ضبطاً، لكننا لا نكلف بالبحث عنها، فذلك مما نؤمن به ونكل علم حقيقته إلى الله) (١٤٨).

ويوم الحساب سيخبر الحق سبحانه كل إنسان بجميع أعماله، حتى الأشياء الصغيرة التى لم يهتم بها ونسيها سيجدها مكتوبة **قال تعالى ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوءَ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾** المجادلة: ٦، وستنشر تلك الصحف فى ساحة العرض على الملأ، ويعرف ما فيها، فلا تعد خافية على أحد **قال تعالى ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾** التكاوير: ١٠، فنشر الصحف يومئذ يفيد كشفها ومعرفتها وهذه العلنية أشد على النفوس فكم من سواه مستورة يخجل صاحبها ذاته من ذكرها، ويرتجف وينوب من كشفها! ثم إذا هى جميعاً فى ذلك اليوم منشورة مشهودة! إن هذا النشر والكشف لون من ألوان الذل والهوان فى ذلك اليوم وكل إنسان فى ذلك اليوم مرهون بعمله الذى يلازمه مثل لزوم القلادة للعنق لا ينفك عنها أبداً، والذى سيظهر له فى كتابه منشوراً، وسيطلب منه أن يقرأه ليكون شاهداً على نفسه **قال تعالى ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ ۖ فِي عُنُقِهِ ۚ وَخُجِّرُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا﴾** اقرأ كتبك كفى بتفسيك اليوم عليك حسيباً ﴿١﴾ الإسراء: ١٣ - ١٤.

استلام الصحف:

فى ساحة العرض حيث حشرت كل الأمم انتظاراً لساعة الحساب، وقد أنهك الهول والفزع المحيط بهم القوى فلم يستطيعوا الوقوف فجلسوا على الركب متحفزين ومترقبين، كلهم آذان صاغية لسماع النداء الذى يتسلم كل منهم كتاب عمله ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا ﴾ الجاثية: ٢٨. فى هذا الجو الرهيب ينطلق النداء الإلهى لجميع الأمم: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ الجاثية: ٢٨-٢٩ أى اليوم تتلون جزاء أعمالكم من خير أو شر فهذا الكتاب يشهد عليكم بالحق، إنا كنا نأمر الملائكة بكتابة أعمالكم.

يبدأ النداء على كل الأمم حيث تنادى كل أمة برسولها وكتابها فيقال يا أمة محمد يا أهل القرآن يا أمة موسى يا أهل التوراة، يا أمة عيسى وهكذا... قال تعالى ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ ﴾ الإسراء: ٧١. ثم يبدأ النداء على كل إنسان باسمه وأسم أبيه، أى يقال فلان ابن فلان ليتسلم كتاب أعماله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم) ^(١٩). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الغادر يرفع له لواء يوم القيامة يقال: هذه غرة فلان ابن فلان) ^(٢٠)، قال ابن بطال (فى هذا الحديث رد لقول من زعم أنهم لا يدعون يوم القيامة إلا بأسمائهم سترأ على آبائهم) ^(٢١).

السعداء الذين اتقوا الله فى الحياة الدنيا، سيأخذ كل منهم كتاب عمله بيمينه حيث يقرءون حسناتهم بفرح واستبشار، وسيوفيههم سبحانه وتعالى أجورهم كاملة لا ينقص منها مثقال ذرة قال تعالى ﴿ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ الإسراء: ٧١. وعندئذ يدرك كل من أخذ كتابه بيمينه أنه من الناجين الفائزين بالنعيم فيحب أن يظهر ذلك لجماعته الذين حشر معهم حتى يفرحوا بما ناله قال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ﴾ ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ ﴾ الحاقة: ١٩-٢٠، أى خذوا إقرءوا كتابى حتى ينالكم ما نالنى من السرور، أننى تيقنت فى الدنيا أن ربى جل شأنه سيحاسبنى، وأننى سألقى جزائى يوم القيامة فأعددت العدة من الإيمان والعمل الصالح.

وسيحاسبه الله حسابا سهلا هينا فيجازيه عن حسناته بالفضل والكرم ويتجاوز عن سيئاته، ويدخل الجنة ليلحق بأهله سعيدا مسرورا **قال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِرَحْمَةٍ ۖ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۖ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۖ ﴾** الانشقاق: ٧-٩.

أما من شغلته الدنيا وأصبحت هي شاغله الشاغل، فكان في الدنيا غافلا لاهيا لا يفكر في عواقب أعماله ولا تخطر بباله الآخرة، وأنه سوف يحاسب على جميع أفعاله، فسوف يعطى كتاب عمله بشماله، وعندما يرى قبح أعماله يندم أشد الندم **قال تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِرَحْمَةٍ ۖ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابَهُ ۖ وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابِي ۖ ﴾** **يَلَيْتَنِي كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ۖ ﴾** مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ۖ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ ۖ ﴾ الحاقة: ٢٥-٢٩ أى يا ليتنى لم أعط صحيفة أعمالى التى تذكرنى بقبحات أفعالى، وإنه من شدة خجله يتمنى لو عذب بالنار دون أن يعرض عليه كتابه، ويتمنى أنه لم يبعث ليحاسب، ولم يعرف شيئا عن حسابه، فكتابه لم يضم ما ينجيه وليس فيه ما يغنيه من عذاب الله، إنه قد حوى وشمل كل قبيح يشينه، وسطر فيه ما يهلكه، ويقول ليت الموتة التى متها وذقتها فى الدنيا كانت هى القاطعة لأمرى ولم أبعث بعدها ولم أتل وألق ما ألقاه من العذاب المهين ويضيف: لم ينفعنى ولم يغن عنى ما كان لى فى الحياة الدنيا من المال الوفير، لقد بطلت حتى وذهب ملكى وسلطانى.

عندئذ يتضح مصير كل من المؤمنين والكافرين: **﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾** الجاثية: ٣٠ أى فأما المؤمنون الصالحون المتقون لله فى الحياة الدنيا، فسيدخلهم الله الجنة، وهذا هو الفوز العظيم الذى لا فوز بعده، وأما الذين كفروا يقال لهم تبكيئا وتوبيخا على إجرامهم وتكبرهم وتكذيبهم باليوم الآخر: **قال تعالى ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي عَلَيْهِمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ ۖ ﴾** وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرَىٰ مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَنَبِّئِينَ ﴾ الجاثية: ٣١-٣٢. أى أفلم تكن الرسل تتلو عليكم آيات الله وتبلغكم رسالته، فتكبرتم عن الإيمان بها وأعرضتم عن

سماعها وكنتم قوما شديدي الإجرام، وعندما قيل لكم أن هناك قيامة وبعث وثواب وعقاب قلتم لا نصدق بالآخرة يقينا.

ويتضح لهم قبح أعمالهم، ويحيط بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به في الدنيا ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ الجاثية: ٣٣. ويقال لهم: ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوُكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ ٣٤ ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنكُمْ أَخَذْتُمْ ءَايَةَ اللَّهِ هُزُوءًا وَعَزَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا تَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ ٣٥ الجاثية: ٣٤-٣٥ أى اليوم نترككم فى العذاب وننساكم، كما تركتم الطاعة والعمل لهذا اليوم ومكانكم ومستقركم جهنم، وليس لكم من ينصركم ويخلصكم من عذاب الله، بسبب أنكم سخرتم من كلام الله واستهزأتم به، وخذعتم الدنيا بزخارفها وأباطيلها حتى ظننتم ألا حياة سواها وألا بعث ولا نشور، فالיום لا تخرجون من النار، ولا تنفع لكم توبة.

ويصور لنا القرآن الكريم حالة المجرمين عندما يقرءون ما سطر فى كتابهم من جرائم وذنوب ارتكبوها سواء صغيرة أو كبيرة، حيث تنتابهم حالة من الخوف والهلع قال تعالى ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَلَيْتَنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٤٩ أى يقول المجرمون نادمين: يا حسرتنا ويا هلاكنا على ما فرطنا فى حياتنا الدنيا، ويتعجبون من أن هذا الكتاب لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ضبطها وأحاط بها.

ويتمنى كل من عمل سوء أن يباعده بينه وبين أعماله السيئة فلا يراها ماثلة أمامه خوفا من العقاب قال تعالى ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ آل عمران: ٣٠.

ومن هول ما يراه الكافر من عذاب يتمنى أنه لم يخلق ولم يكلف قال تعالى ﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ النبا: ٤٠.

المحكمة الإلهية

تتعدد المحكمة الإلهية يوم القيامة وفق نظام وقواعد محددة، فالحق سبحانه وتعالى لا يظلم أحدا ولا يعذب قوما إلا بعد أن يكفروا بالرسول الذي أرسل إليهم **قال تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾** فاطر: ٢٤ وهو سبحانه القائل أيضا **﴿ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفِلُونَ ﴾** الأنعام: ١٣١، فلا تجريم ولا عقوبة إلا بنص وبيان لتجريم هذا الفعل أو ذلك، بإرسال الرسل، حتى لا يحتج أحد بأنه لم يصل إليه شئ يحاسب بمقتضاه.

سيسأل الحق سبحانه جميع الخلاق الضال والمضل، والتابع والمتبوع عن أدق التفاصيل وعما اقترفوه في الدنيا من قول وفعل **قال تعالى ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾** عما كانوا يعملون **﴿ الْحَجَر: ٩٢-٩٣. ﴾**

والسؤال من الحق سبحانه لا يأتي للعلم، فإله عز وجل يشهد كل ما يصدر من المخلوقات من عمل سواء قول أو فعل، ومهما صغر أو كبر، وأنه سبحانه يعلم أزلا كل أعمالنا، ولكنه يسجل لنا بالواقع تلك الأعمال والنيات لنعلم عن أنفسنا ماذا فعلنا لتتقطع حجة من أساء إذا وقع به العقاب **قال تعالى ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾** يونس: ٦١.

وإنما يأتي السؤال للإقرار حتى تصبح الحجة ألزم للمسؤول، فالسؤال هنا سؤال التقرير من الله سبحانه وتعالى لتكون شهادة من الإنسان على نفسه، وهذا دليل أبلغ للحجة وقطع للسبيل على الإنكار، فإما أن يقر الإنسان، وإلا يستشهد عليه الشهود الذين يشهدون المحاكمة وهم: الملائكة كتبة الأعمال والحفظة الذين لازموا الإنسان طول حياته - الرسل حيث يشهد كل رسول على قومه - أعضاء الجسم التي تشهد على صاحبها **قال تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾** غافر: ٥١.

كل رسول يشهد على قومه:

سوف تحاكم كل أمة في حضور رسولها الذي جاءها بالبلاغ عن الله سبحانه، وقد آمن به من آمن، وكفر به من كفر، وما دام الإيمان قد حدث - وكذلك الكفر - فلا بد من القضاء بين المؤمنين والكافرين قال تعالى ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ يونس: ٤٧ وقال تعالى مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ ﴾ النحل: ٨٩، وقال تعالى ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ النساء: ٤١، حيث يشهد الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته أنه بلغهم الرسالة.

وستشهد أمة الإسلام على الأمم السابقة قال تعالى ﴿ وَفِي هَذَا لَيَكُونَنَّ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ الحج: ٧٨، فالحق سبحانه وتعالى جعل أمة الإسلام أمة عدولا خيارا تشهد على الأمم السابقة أن رسلهم بلغتهم منهج الله سبحانه، وهذه ميزة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنها الأمة الوحيدة التي أمنها الله على أن يحملوا المنهج إلى أن تقوم الساعة، فلن يأتي أنبياء أبدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم (فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمرته: هل بلغتم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمرته. فيشهدون أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة: ١٤٣) (٩٢).

يبدأ الحساب بسؤال موجه من الحق سبحانه وتعالى إلى جميع الأمم: هل بلغكم الرسل دعوتى ورسالتى؟ وبماذا أجبتوهم؟ هل استجبتم لهم أم لا؟ ويسأل سبحانه الرسل: هل بلغتم الرسالة؟ قال تعالى ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ الأعراف: ٦.

وسيجبر سبحانه وتعالى عباده بما قالوا وبما عملوا من قليل وكثير وجليل وحفير لأنه تعالى الشهيد على كل شئ لا يغيب عنه شئ بل هو العالم بخائنة الأعين وما تخفى

الصدور ﴿ فَلَنَقْصِّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ الأعراف: ٧. وقال تعالى ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ المجادلة: ٦.

وستعطى الفرصة كاملة لجميع الأمم للدفاع عن نفسها، وتقديم الحجج والبراهين والأسباب التي دعيتهم للكفر والعصيان، ولأن الحجج واهية، والبراهين باطلة سيعلمون عندئذ أن الحق لله ولرسله قال تعالى ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ القصص: ٧٥.

أى أخرجنا من كل أمة شهيدا منهم يشهد عليهم بأعمالهم وهو رسولهم، ويقال لهم هاتوا حجتكم على ما كنتم فيه من الكفر، عندئذ يعلمون أن الحق لله ولرسله، ويكف المجرمون عن الجدل وتبطل حجتهم قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ الروم: ١٢.

وفى حضرة الخالق الذى كفروا به، وفى مواجهة الرسول الذى عصوه، واعترافهم بالكفر وشهادة الشهود، يتمنى الكفرة الفجرة وهم فى حالة من الخزي والمهانة، والخل والندامة لو يدفنون فى الأرض ثم نسوى بهم كما نسوى بالموتى أو تنشق الأرض فتبتلعهم ويكونون ترابا قال تعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ النساء: ٤٢.

ولأن الكلام يوم القيامة لا يكون إلا بإذن من الله سبحانه، فلا يؤذن للذين كفروا فى الاعتذار، ولا يطلب منهم أن يسترضوا ربهم بقول أو عمل، فقد فات أوان العتاب والاسترضاء وجاء وقت الحساب والعقاب، قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ النحل: ٨٤.

أول من يحاسب من الأمم:

أمة الإسلام أول الأمم التى ستحاسب يوم القيامة قال صلى الله عليه وسلم (أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضى لهم يوم القيامة قبل الخلق) (١٣).

محاسبة العباد

سيحاسب الحق سبحانه وتعالى العباد فردا فردا، ويخبر كل إنسان في ذلك اليوم بجميع أعماله، صغيرها وكبيرها، عظيمها وحقيرها، ما قدمه منها في حياته وما أخره بعد مماته من سنة حسنة أو سيئة، فهو شاهد على نفسه، وعلى سوء عمله وقبيح صنعه، لا يحتاج إلى شاهد آخر، فأعضائه هي التي ستشهد عليه، وأن اعتذر عن نفسه وجادل عنها ليبرر إجرامه وفجوره فإنه لا ينفعه ذلك **قال تعالى ﴿يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾** ﴿١﴾ بل **الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ** ﴿٢﴾ **وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ** ﴿٣﴾ **﴿القيامة: ١٣-١٥﴾** وقال سبحانه وتعالى **﴿وَإِذَا أَلْقُوبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾** **الانفطار: ٤-٥﴾** وقال تعالى **﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٦﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٧﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٨﴾﴾** **النجم: ٢٩-٤١﴾**

أى أن ليس للإنسان إلا عمله وسعيه وأن عمله سيعرض عليه يوم الحساب ويراه وعندئذ يفرح المؤمن ويحزن الكافر بأعماله الفاسدة فيزداد غما ثم يجزى بعمله الجزاء الأتم الأكمل.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة) ^(٤٠).

وكل واحد سيسأل عن نعيم الدنيا من الأمن والصحة، وسائر ما يتلذذ به من مطعم ومشرب، ومركب ومفرش، وعن عمره، وعن علمه، وعن ماله وعن جسمه، **قال تعالى ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾** **التكاثر: ٨﴾** وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟ وعن علمه ما عمل به؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفق؟ وعن جسمه فيما أبلاه؟) ^(٤١). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له: ألم أجعل لك سمعا وبصرا ومالا وولدا؟ وسخرت لك الأتعام والحرث؟ وتركتك ترأس وتربح؟ فكنت تظن أنك ملق بومك هذا؟ فيقول: لا فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتنى) ^(٤٢)، معنى قوله: اليوم أنساك كما نسيتنى أى أتركك فى العذاب .

وسيحاسب الحق سبحانه عبادہ المؤمنین محاسبة تختلف عن غيرهم فلا يفضحهم ولا يخزيهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستتره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته أما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين)^(٥٧).

قوله "فيضع عليه كنفه" بفتح الكاف والنون المراد بالكنف الستر قال ابن التين "يدنوا أحدكم من ربه" بمعنى يقرب من رحمته مثال "إن رحمة الله قريب من المحسنين" والمراد بالكنف هو الستر.

وستجادل كل نفس عن ذاتها سعيًا في خلاصها لا يهتمها شأن غيرها المهم هو الخلاص والنجاة قال تعالى ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَدِّلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ النحل: ١١١، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت لأن يقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار)^(٥٨).

شهادة الأعضاء

عندما خلق الله سبحانه الإنسان جعل جوارحه خاضعة لإرادته فإذا أراد خيرا أو شرا تقوم الجوارح بتنفيذ ذلك ولكن في الآخرة ليس لأحد إرادة، فعندما يقف العبد أمام الحق سبحانه للحساب تتدفق شهادته على نفسه، وستنطق أعضائه وجوارحه، وتشهد عليه وتنطق بكل السينات التي أقرتها بها وهي لها كارهة ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النور: ٢٤، وقال تعالى ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يس: ٦٥، أى في هذا اليوم يختم على أفواه الكفار، وتنطق أيديهم وأرجلهم بأعمالهم القبيحة.

ويخبرنا الحق سبحانه عن الحوار الذى يدور بين الإنسان وأعضائه عندما يتعجب كيف أن جوارحه تشهد عليه وهي جزء منه وسوف تعذب معه قال تعالى ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِمَ لُجُودُنَا لَمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ فصلت: ١٩ - ٢٣. أى وما كنتم تستخفون من هؤلاء الشهود فى الدنيا حين مباشرتكم الفواحش لأنكم لم تظنوا أنها ستشهد عليكم وظننتم أن الله تعالى لا يعلم كثيرا من القبائح لذلك اجترأتم على المعاصى والآثام وهذا الظن السيئ هو الذى أوقعكم فى الهلاك فأوردكم النار، عن أنس بن مالك قال (كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال: هل تدرون لم أضحك؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال: من مخاطبة العبد ربه يوم القيامة يقول: يا رب ألم تجرنى من الظلم؟ قال: بلى فيقول: إننى لا أجزى على نفسى إلا شاهدا منى قال: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا قال: فيختم على فيه فيقال: لأركانها انطقى فتنطق بأعماله قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال: فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل) (٥٩).

بعض من محاكمات يوم الفصل

- سوف تسأل أمة محمد صلى الله عليه وسلم هل قامت بواجبها تجاه تبليغ دعوة الله باعتبارها الأمة الوحيدة التى أمنها الله على أن يحملوا منهج الله ورسائله لجميع الأمم إلى أن تقوم الساعة **قال تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾** الزخرف: ٤٤.

- سوف يحدث جدال ونزاع بين أفراد الأمة الواحدة فيما كان بينهم فى الدنيا من مظالم وأمر الدنيا والدين، فمثلا سيحدث جدال ونزاع بين المؤمنين من أمة النبی صلى الله عليه وسلم والمشرکین الکافرين عندما يجتمعون عند الله، ويفصل بينهم أحکم الحاکمین فيعرفون عندئذ من كان على حق ومن كان على باطل **قال تعالى ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾** ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣٠﴾ الزمر: ٣٠-٣١.

وقال تعالى ﴿ وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ اللَّهُ تَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٨﴾ الحج: ٦٨-٦٩.

- فهو سبحانه العادل الذى لا يظلم أحدا، العالم بأحوال الخلق، فلا يؤاخذ المشركين بما عمله المؤمنون من سيئات ولا يؤاخذ المؤمنين بما اقترفه المشركون من إجرام، وإنما يعاقب كل إنسان بجريمته **قال تعالى ﴿ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُنْفِلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾** قُلْ تَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٦٩﴾ سبأ: ٢٥-٢٦.

- وسوف يحكم الحق سبحانه بين المؤمنين والمنافقين **قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْكُمْ عَلَيْهِمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾** قَالَهُ تَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ تَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ النساء: ١٤١.

- من كثرة كذب المنافقين فى الدنيا، أصبح الكذب عندهم عادة فنجدهم يحلفون لله تعالى كما كانوا يحلفون فى الدنيا كذبا أنهم مسلمون، ويظنون أن حلفهم فى الآخرة يتفهم وينجيهم من العذاب كما نفهم فى الدنيا بدفع القتل عنهم **قال تعالى ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾**

فَيَخْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾
المجادلة: ١٨.

- وسوف يأتى الذين كفروا وهم يحملون أوزارهم وأوزار من أضلّوهم دون أن ينقص من أوزار أولئك شئ، ويسألهم سبحانه وتعالى سؤال توبيخ وتقريع عما كانوا يختلفونه من الكذب على الله عز وجل قال تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٩﴾ وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَاهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ العنكبوت: ١٢ - ١٣.

- وسيسال الحق سبحانه فريق من الكافرين عن شهادتهم الكاذبة التى ادعوا فيها أن الملائكة إنك بلا دليل ولا برهان قال تعالى ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنِشَاءً أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنَّ شُهَدَاؤُهُمْ وَسُئِلُونَ ﴾ الزخرف: ١٩.

- وهام الذين كفروا وأنكروا البعث والحساب بعد الموت، وقد اجتمعوا يوم الحساب ليخبرهم الله بجميع أعمالهم صغيرها وكبيرها قال تعالى ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ التغابن: ٧.

- وكذلك سيحكم الحق بين النبی صلی الله عليه وسلم وبين الكفار الذين دعوه إلى عبادة الهتهم قال تعالى ﴿ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِيَّ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ الأنعام: ١٦٤.

- أما بالنسبة لليهود سوف يحكم الحق سبحانه بينهم فيما كانوا يختلفون فى أمر الدين بعد أن جاءتهم التوراة قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَأَ صِدْقٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ يونس: ٩٣، وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ النحل: ١٢٤.

- وبالنسبة لأهل الكتاب الذين فرقوا دين إبراهيم الحنيف فأصبحوا شيعا وأحزابا سيخبرهم الله بسوء أعمالهم. **قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٩.**

- وعن الخلاف بين اليهود والنصارى والمشركين إذ ادعى كل فريق منهم أن الآخر على باطل فسوف يحكم الله سبحانه بينهم فيما اختلفوا فيه من أمر الدين، ومعنى الحكم هنا ليس بيان المخطئ من المصيب فالطوائف الثلاث مخطئة ويأتى الحكم ليبين ذلك ويواجه المخالفين بالعذاب **﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ البقرة: ١١٣.**

- كذلك سوف يخبر الحق سبحانه كلا من المسلمين واليهود والنصارى بما اختلفوا فيه من أمر الدين ويجازيهم بأعمالهم. **قال تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۚ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ المائدة: ٤٨.**

- وسوف يحكم الحق بين كل من الذين آمنوا واليهود والذين يعبدون النجوم، والنصارى وعبدة النار، وعبدة الأوثان فيما اختلفوا فيه. **قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصْرَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ الحج: ١٧.**

- والبنت التى دفنت حيه سوف تسأل الذى قتلها عن الذنب الذى ارتكبه لكى تستحق القتل **قال تعالى ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۖ ﴾ التكوين: ٨-٩.**

المواشم

- (١) البخارى (٦٤٧٨) فى الرقاق، باب حفظ اللسان.
- (٢) متفق عليه البخارى رقم (٦٦٦٤) فى كتاب الإيمان والنذور، باب إذا حنت ناسيا فى الإيمان.
- (٣) متفق عليه، أخرجه البخارى حديث (٥٤) فى كتاب الإيمان باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة.
- (٤) متفق عليه البخارى رقم (٦٤٩١) كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة.
- (٥) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٣ ص ٥٠ فى الجهاد باب من قاتل للرياء والسمعة وأستحق النار.
- (٦) أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطى ج ٣ ص ٣٥٢-٣٥٣.
- (٧) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٨ ص ٣٥٧.
- (٨) متفق عليه، رواه البخارى رقم (٥٢٦) كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة.
- (٩) متفق عليه، رواه البخارى حديث رقم (٥٢٨) كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة.
- (١٠) جزء من حديث متفق عليه، رواه البخارى رقم (٥٢٥) فى كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة.
- (١١) متفق عليه، رواه البخارى حديث رقم (١٨) كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار.
- (١٢) متفق عليه، رواه البخارى حديث رقم (٥٦٤٠) فى كتاب المرضى، باب ما جاء فى كفارة المرض.
- (١٣) متفق عليه، رواه البخارى حديث رقم (٥٦٤١) فى كتاب المرضى، باب ما جاء فى كفارة المرض.
- (١٤) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٦ ص ١٣٠ حديث رقم (٢٥٧٤) فى البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض.
- (١٥) البخارى رقم (٥٦٥٣) فى كتاب المرضى، باب فضل من ذهب بصره.
- (١٦) متفق عليه، رواه البخارى حديث رقم (٦٠٦٩) كتاب الأدب، باب ستر المؤمن نفسه.
- (١٧) إورده الهيئى فى مجمع الزوائد (٤٩/١).
- (١٨) رواه البخارى حديث رقم (٣٣٣٥) فى كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته.
- (١٩) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٦ ص ٢٢٦ كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة.
- (٢٠) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٦ ص ٢٢٧ رقم (٢٦٧٤) فى العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة.
- (٢١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٣ ص ٣٨ (١٨٩٣) فى الأمارة، باب فضل إعانة الفازى فى سبيل الله.

(٢٢) متفق عليه، رواه البخارى حديث رقم (٢٤٤١) فى كتاب المظالم، باب قوله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين).

(٢٣) متفق عليه، رواه البخارى رقم (٦٥٣٧) فى الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب.

(٢٤) فتح البارى شرح صحيح لبخارى ج ١١ ص ٤٠٢.

(٢٥) جامع الأصول فى أحاديث الرسول ج ١٠ ص ٤٣٦ أخرجه الترمذى رقم ٢٤١٩ فى صفة القيامة، باب رقم ١.

(٢٦) جامع الأصول فى أحاديث الرسول ج ١٠ ص ٤٣٤ رواه الترمذى رقم ٤١٣ فى الصلاة باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة والنسأى ٢٣٢/١ فى الصلاة باب المحاسبة على الصلاة، ورواه أحمد ٧٢/٥ والحاكم وهو حديث صحيح بشواهد.

(٢٧) رواه البخارى حديث رقم (٢٤٤٩) فى كتاب المظالم باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته؟

(٢٨) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٦ ص ١٣٥ رقم (٢٥٨١) فى البر، باب تحريم الظلم.

(٢٩) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٣ ص ٤١ رقم (١٨٩٧) فى الجهاد، باب حرمة نساء المجاهدين.

(٣٠) متفق عليه، رواه البخارى حديث رقم (٢٠٧٨) فى البيوع، باب من أنظر معسرا.

(٣١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٦ ص (١٩١٤) فى البر والصلة باب فضل إزالة الأذى عن الطريق.

(٣٢) رواه البخارى حديث رقم (٧١٥٢) فى كتاب الأحكام، باب من شاق شق الله عليه.

(٣٣) متفق عليه، رواه البخارى حديث رقم (٧٣٧٦) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى " قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ".

(٣٤) متفق عليه، رواه البخارى حديث (٥٦٧٣) فى كتاب الطب باب تمنى المريض الموت، ومسلم فى صفات المنافقين.

(٣٥) رواه البخارى حديث رقم (٤١) فى كتاب الإيمان باب، حسن إسلام المرء.

(٣٦) متفق عليه، رواه البخارى حديث رقم (١٩٠٤) كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم.

(٣٧) رواه البخارى حديث رقم (٩٧) فى كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله.

(٣٨) فتاوى ابن تيمية ج ٤ ص ٣٠٦.

(٣٩) رواه البخارى حديث رقم (١٣٨٣) فى كتاب الجنائز، باب ما قيل فى أولاد المشركين.

(٤٠) جامع الأصول فى أحاديث الرسول ج ١٠ ص ٤٣٤ رواه الترمذى رقم ٤١٣ فى الصلاة باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة والنسأى ٢٣٢/١ فى الصلاة باب المحاسبة على الصلاة، ورواه أحمد ٧٢/٥ والحاكم وهو حديث صحيح بشواهد.

- (٤١) متفق عليه، رواه البخارى رقم (٦٥٣٣) فى الرقاق، باب القصاص يوم القيامة.
- (٤٢) متفق عليه، رواه البخارى رقم (٤٧٦١) كتاب التفسير، باب والذين لا يدعون مع الله إلها آخر.
- (٤٣) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٤١ كتاب الإيمان، باب بيان إن الدين النصيحة .
- (٤٤) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٤١.
- (٤٥) رواة احمد والترمذى وابن ماجة والبيهقى فى شعب الإيمان وابن حبان فى صحيحة والحاكم فى المستدرک.
- (٤٦) تهذيب مدارك السالكين لأبن القيم ص ١١٥ إلى ١٢٠ بتصرف.
- (٤٧) تهذيب مدارك السالكين لأبن القيم ص ١١٥ إلى ١٢٠ بتصرف.
- (٤٨) تفسير جزء عم، للإمام محمد عبده ص ٨.
- (٤٩) جامع الأصول لأحاديث الرسول ج ١ ص ٣٥٧ أخرجه أبو داود رقم (٤٩٤٨) فى الأدب باب تغيير الأسماء - رجاله ثقات إلا أنه فيه انقطاعا للسند.
- (٥٠) أخرجه البخارى رقم (٦١٧٧) كتاب الأدب، باب ما يدعى الناس بأبائهم.
- (٥١) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١٠ ص ٥٦٣.
- (٥٢) أخرجه البخارى حديث رقم (٤٤٨٧) فى كتاب التفسير، باب قول الله عز وجل (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا .
- (٥٣) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٦ ص ١١٤ (٨٥٦) فى كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة.
- (٥٤) أخرجه البخارى حديث رقم (٧٥١٢) فى كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم.
- (٥٥) جامع الأصول فى أحاديث الرسول ج ١٠ ص ٤٣٦، رواه الترمذى رقم ٢٤١٩ فى صفة القيامة، باب رقم ١ وإسناده حسن.
- (٥٦) جامع الأصول فى أحاديث الرسول ج ١٠ ص ٤٣٨، رواه الترمذى رقم (٢٤٣٠) فى صفة القيامة، باب رقم ٧ وإسناده حسن.
- (٥٧) متفق عليه أخرجه البخارى رقم (٢٤٤١) فى كتاب المظالم، باب قوله تعالى (الا لعنة الله على الظالمين).
- (٥٨) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٣ ص ٥٠ فى الجهاد باب من قاتل للرياء والسمعة وأستحق النار.
- (٥٩) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٨ ص ١٠٤ حديث رقم (٢٩٦٩) فى الزهد.